



عبد الرزاق الهمامي (رئيس الهيئة التأسيسية لحزب العمل الوطني الديمقراطي):

الحرب على غزة نهاية مرحلة وبداية أخرى

لم تكن الحرب على غزة عملاً مفاجئاً بل كانت نتيجة حتمية لما بات يصطدم به المشروع الصهيوني من أفق مسدود، فإزاء تواصل المقاومة في قطاع غزة والتي تباشرها فصائل عديدة من داخل منظمة

التحرير مثل الجبهة الشعبية والجبهة الديمقراطية وفتح، وفصائل أخرى من خارجها مثل حماس والجهاد وفي ظل قطيعة حاصلة في القطاع مع خط التفريط الذي يقوده عباس من رام الله، وفي ظل تباين مع خط التفريط والمهادنة الذي مثله محور الاستسلام المصري السعودي، وفي ظل تأزم النظام الامبريالي العالمي بقيادة الولايات المتحدة الأمريكية، هذا التأزم الناتج عن تصاعد فشل سياسات الاحتلال في العراق وأفغانستان، التغيير الذي بدأ يظهر في موازين القوى العالمية بعد حرب القوقاز بين روسيا وجورجيا، وبداية تصدع النظام العالمي احادي القطب بزعامة أمريكا، وفي ظل أزمة مالية عالمية عاصفة أشرت على تصاعد مصاعب النظام الرأسمالي المعولم، في ظل كل هذه الظروف انطلقت جريمة العدوان على غزة بعد فترة من الحصار طالقت الطاقة والغذاء وفشلت في اخضاع ارادة المقاومة.

لقد شن الكيان الصهيوني حربه في ظل مزايادات انتخابية بين أحزابه الصهيونية وادعى ثالوث الاجرام (أولمرت/ باراك/ ليفني) أنهم سينهون اطلاق الصواريخ من غزة على جنوب فلسطين المحتلة وسيخضعون القطاع لاحتلالهم مجددا ويقضون على كل نفس مقاوم، كما ساندتهم المتواطئون العرب من الانظمة العميلة وعطلوا عقد أي اجتماع حاسم لإدانة العدوان واتخاذ اجراءات رادعة ضده عربيا أو دوليا، وواجهوا بالقمع مظاهرات التنديد بجرائم الصهيونية، كما تمتع العدوان على غزة بغطاء امبريالي امريكي أوروبي فظهر عجز المنظمات الدولية، وكيلها بمكيالين وتهاوت ادعاءات المؤسسات الدولية المناهضة لجرائم الحرب ضد الانسانية، وافتضح انحيازها الأعمى للصهاينة الذين ارتكبوا من المجازر في ثلاثة أسابيع ما يندى له جبين الانسانية، فكان استشهاد 1300 مواطن، المئات منهم من الاطفال والنساء والمسنين، ومن طواقم الاسعاف وسقوط الآلاف من الجرحى والمشوهين بأسلحة حارقة ومسرطنة محرمة دوليا من صنع أمريكي في الغالب، بعضها يتم تجربته لأول مرة في ميادين الحروب، أو ليست الحرب هي خير وسيلة لتجاوز أزمات النظام الامبريالي؟! وهذا درس قديم نراه يتكرر مرة أخرى ولكن هذه الحرب لم تكن كسابقاتها.

لقد صمدت المقاومة رغم الجرائم البشعة ضد المدنيين وتمكنت من تكبيد المعتدين خسائر فادحة في الأرواح والمعدات وواصلت التحدي المعنوي باطلاق الصواريخ حتى بعد اعلان العدو لإيقاف اطلاق النار من جانب واحد، وعجز عن تحقيق اهدافه المعلنة واضطر للانسحاب المتسرع واعلن اتفاقا مع الادارة الامريكية عشية رحيلها لضمان عدم تهريب السلاح بألية دولية تشارك فيها مصر والاتحاد الأوروبي، ولكن النظام المصري الذي كان يترنح تحت وقع الاحتجاج الشعبي سارع للتفصي من ذلك الاتفاق، وسارع معه محور الاستسلام بكامله الى تدارك ما فاتته محاولا الحد من الخسائر باعلان مراجعة سياسة اليد الممدودة رغم حدود خياراته وهو الذي رهن ارادته لإرادة الامبرياليين والصهاينة وتصدى للجماهير قامعا مانعا.

وهكذا وقفت المنطقة والعالم على مشارف واقع جديد يمكن أن نوجز أهم ملامحه في الآتي:

1. إن المشروع الصهيوني قد بلغ سقفه التاريخي وبات عاجزا عن التقدم مهما بلغت قسوة جرائمه، ولعل ذلك هو السبب في تصاعد تلك الجرائم التي ليس من المستبعد أن تتحول الى كوارث قد تحل بالمنطقة والعالم جراء لجوئه لأسلحة الدمار الشامل في لحظات يأس وارادة لاحقا. والحديث عن مآزق المشروع الصهيوني هو موضوع مصارحات باتت ترد على لسان كبار مجرميه مثل أولمرت الذي دعا الى التخلي عن حلم اسرائيل الكبرى وقبول الأمر الواقع والتركيز على يهودية الكيان في حدود معلومة محددة لا غير.

2. إن المقاومة الوطنية في فلسطين والمستندة الى عمقها الشعبي والمراوحة بين الاشكال المسلحة وخاصة في صيغها المبتكرة والمتلائمة مع الظروف الخصوصية لكل ساحة ومختلف أوجه صيغ المقاومة الأخرى هي الرد الموضوعي الواقعي على المشروع الصهيوني الذي لا امكانية للتصالح معه بل لا حياة ولا سلام في المنطقة إلا بالتخلص منه.

3. إن أي حل لا يتضمن إعادة الحقوق الى اصحابها الشرعيين وعودة اللاجئين، وطرده الغاصبين وبناء كيان ديمقراطي لعموم فلسطين لن يكتب له النجاح والبقاء.

4. إن تحرير فلسطين هو عنصر محوري في حركة التحرر العربية الشاملة وهو عنصر متداخل مع مهام النضال الديمقراطي في كل قطر، فالحركة الشعبية العارمة التي عمت كل مدن وأرياف الوطن العربي والتي واجهت الأنظمة الدكتاتورية المتخلفة، وطالبت بالحق في التعبير والتظاهر للاحتجاج على جرائم الصهيونية وللتنديد بالهيمنة الامبريالية، وامتدت الى تعرية أنظمة التخلف والقمع والعمالة هي خير دليل على تلاحم النضال الوطني والنضال الديمقراطي في الوطن العربي، وقد رأيناها تدفع بطاقات جديدة من صميم الطبقات الشعبية صاحبة المصلحة الحقيقية في التحرر والديمقراطية والتقدم وهي بذلك تفتح أبواب الأمل على مصراعيه نحو التغييرات الايجابية في واقعنا.

5. إن حرب الأسابيع الثلاثة على غزة أفرزت واقعا جديدا على الصعيد العالمي، فقد هبت الجماهير في أغلب عواصم العالم من آسيا الى أوروبا وأمريكا شمالها وجنوبها منددة بجرائم الصهاينة قاتلي الأطفال، وفضحت صورة الكيان الصهيوني المجرم وأبرزت الدور الايجابي والفاعل للقوى اليسارية والتقدمية في مناهضة العدوان وحلفائه وبدا أن البشرية التقدمية وكل انصار العدل والحرية في العالم يصطفون معا ضد قوى الظلم والاستغلال والتخلف التي تشعل الحروب العدوانية وتفتعل الصراعات للتغطية على اهدافها الحقيقية في النهب والهيمنة.

لقد أعادت احداث الاسابيع الثلاثة الاعتبار للتضامن الأممي فخرجت الجماهير من نيويورك الى استراليا ومن النرويج الى جنوب افريقيا منتصرة للحق ومنددة بالجرائم الصهيونية مطالبة بمحاكمة المجرمين ومطالبة بعالم خال من الظلم والهيمنة، ذلك هو العالم الذي ستنتح ملامحه جماهير سائر الأمم والشعوب والذي يهتدي بقيم الإخاء الانساني ومناهضة الاستغلال والاضطهاد والانتصار للعدل والحرية وفي المركز منه حركة التحرر العربية وحركة التحرر في فلسطين الصامدة المنتصرة.